

# الزوايا تستعيد شراكتها مع السلطة الجزائرية في صناعة المرجعية الدينية

عبدالمجيد تبون يراهن على الزوايا والمدارس الدينية لتكون حاضنة المرجعية الصوفية



الصوفية في مواجهة التطرف

وأضاف "عندما نتكلم عن مرجعيتنا الدينية فإننا نتكلم عن قيم الجزائري التي لم يكن فيها خلاف عبر التاريخ، ولكننا اليوم في عصر الأجواء المفتوحة وفي عصر التسويق والترويج للأفكار الهدامة التي تعد نوعا من الأسلحة العابرة للقارات التي تدعم من هذا وذاك، وهنا يدخل دور الزوايا والجمعيات الدينية كحاضنة للمرجعية الدينية الوطنية".

وتابع "عندما نتحدث عن الجمعيات الدينية يظن البعض أننا نتكلم عن الزوايا والأتزواء... لا أبدا، نحن نتكلم عن التربية والاحتواء، نتكلم عن الأخذ والعطاء ولا نقصد إطلاقا الانتفاء عن الذات، لذلك المؤسسات الدينية في بلادنا كانت تمد بإشعاعاتها أكثر من عشرين دولة أفريقية دخلها الإسلام وقيمه الحضارية"، في إشارة لمقار الزوايا ومدارس الصوفية المنتشرة في عموم أفريقيا والعالم، كما هو الشأن بالنسبة للمقر العام للزاوية التجانية الواقعة ببلدة عين ماضي في محافظة الأغواط بجنوب البلاد.

الحقيقة كانت غير ذلك، وأن الجمعيات الدينية والزوايا في الجزائر الجديدة موجودة لتنمية القيم والتربية".

## بعض المسؤولين الجزائريين اعتادوا على التزود بـ «بركة» الزوايا مما أضفى أجواء قريبة من الشعوذة على المشهد العام

وذكر بلخضر في تصريح لموقع "سبق براس" المحلي، بأن "الرئيس تبون بعد ستة أشهر من تكليفه بملف المجتمع المدني، أراد التخصص أكثر من خلال تكليفه بملف الزوايا والجمعيات الدينية، نظرا لما تشكله من رصيد قيمي يحتاج إلى حركة تنموية، لأنه عندما نتكلم عن تفعيل حيوية النشاط الاقتصادي إذا لم نسندنا بجانب قيمي يركز على الثوابت الوطنية والابعاد التربوية، فمعنى ذلك أننا لا زلنا نراهن خارج ثوابتنا".

لما تمثله من رمزية دينية مبنية على مرجعية قوامها وحدة الوطن وتماسكه، وانخراطها في كل المساعي والالتزامات الوطنية والاجتماعية، كما هو جار مع المساهمة في مواجهة وباء كورونا. ولم تستبعد مصادر مطلعة أن تستند مهمة تسيير وإدارة الجامع الأعظم المقرر تشييده في الفاتح من نوفمبر القادم، إلى مؤسسة ذات مرجعية صوفية خريجة إحدى الزوايا الكبرى في البلاد، لتكريس التوجه الديني والروحي للبلاد، بعيدا عن التجاذبات المذهبية التي تحاول الهيمنة أو توجيه الصرح الجديد وفق توجهها. ونفى مستشار الرئيس تبون أن تكرر بلاده تجربة ثمانينات القرن الماضي لما كانت تستعين بشخصيات دينية من خارج البلاد، مما ساهم في إنكفاء مذاهب دينية غربية عن المجتمع، في إشارة للإخوان والسلفيين، وأوضح بأن "مهمة الإمامة والتسيير ستكون لجزائريين وعدم تكرار تجربة الثمانينات".

وشدد على أن "المرحلة السابقة شهدت انحرفا واستغلالا لمحترفي الشعوذة السياسية بزعم الانتساب للزوايا، بينما

المبادلة والتضامن الأخوي والعيش معا، وهي القيم التي تعتبر أسس المجتمع الجزائري، خاصة وأنها لعبت دورا هاما في الحفاظ على الهوية الوطنية وقيم المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، من خلال المشاركة بشكل لافت في المقاومة والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي الذي انتقم منها".

وظلت الزوايا محل شبهة خلال العقود الماضية، إلى غاية قدوم عبدالعزيز بوتفليقة إلى السلطة سنة 1999، حيث أولاه أهمية قصوى وأعاد لها دورا هاما في صناعة الخطاب الديني والروحي، والمساهمة في تكوين مرجعية وطنية بغية التصدي لتغلغل التيارات الدينية الأخرى، كالإخوان والسلفية وحتى التشيع والأحمدية.. وغيرها.

وأدت المؤسسات المذكورة دورا داعما للسلطة ولإستمرار بوتفليقة في قصر المرادية لعشرينين كاملين، حيث دعمته في مختلف الاستحقاقات الانتخابية والسياسية، وتحول بعضها إلى قبلة لزيارات المسؤولين الكبار في الدولة، على غرار زاوية سيدي محمد بلخير في أدرار. وساد تقليد راسخ لدى هؤلاء بضرورة التزود بـ"بركة" الزوايا، وتعميق العلاقة بينهما مما أضفى أجواء قريبة من الشعوذة على المشهد العام، زاد من انتقاد الشارع لتنامي دور هذه المؤسسات في تقوية نفوذ النخب الحاكمة على حساب الشعب الطامح إلى انتزاع حريته من سطوة النظام، الأمر الذي حولها إلى مؤسسة متواطئة مع النظام القائم.

واتضح معالم الحفاظ الزوايا بنفس المهمة في الطبيعة الجديدة للنظام الجزائري، من خلال دعوة مستشار الرئيس تبون، في إحدى مداخلاته إلى "التصدي للتيارات التي تثبت التفرقة في المجتمع، وضرورة مواجهة كل دعاة الفتنة من خلال التمسك بالدين الإسلامي السمح الذي يسع الجميع، وتوعية المواطن بالتصدي لكل التيارات التي تثبت التفرقة في المجتمع، والشروع في إرساء أسس الجزائر الجديدة".

وأكد مجددا حرص رئيس الجمهورية على أهمية الزوايا والجمعيات الدينية،

رغم تواريخها عن المشهد العام في البلاد خلال الأشهر التي انتفض فيها الشارع الجزائري ضد السلطة، لارتباطها بمسار سلطة الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، إلا أن الزوايا بدأت تعود شيئا فشيئا إلى الواجهة الدينية والسياسية، لاسيما بعد بروز بوادر احتفاظ السلطة الجديدة بنفس الأهمية للزوايا، كتشريك ديني يعول عليه لتحقيق التوازن مع التيارات الأخرى، ويضفي الرداء الشرعي على خياراتها وأجنداتها

مختلف الاستحقاقات والملفات الهامة، وإن استرجاعها لمكانتها في المجتمع، هو مرادف لاستعادة الذاكرة الوطنية التي تميزت في بداية شهر يوليو الماضي، باستعادة جماجم مقاومين جزائريين إلى الوطن من متحف الإنسان بباريس".

وكتشف المستشار الرئاسي أن "دور الزوايا لا يقتصر على التعليم الديني، بل يشمل أيضا ترسيخ قيم المساعدة

مهمة تسيير الجامع الأعظم وإدارته، والمقرر تشييده في بداية شهر نوفمبر القادم، قد تستند إلى مؤسسة ذات مرجعية صوفية

وتوارثت الزوايا عن الانتظار خلال الأشهر الماضية بسبب احتجاجات الحراك الشعبي، الذي ربطها كثيرا من المؤسسات والفعاليات بنظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، ولم تسلم حينها من غضب الشارع الذي اعتبرها أداة السلطة في تخدير الشارع بالفكر الشرعي من أجل تمرير أجندة السلطة واستمرار النظام في ممارسات الفساد.

لكن يبدو أن السلطة غير المستعدة للتعاطي مع التيارات الدينية الأخرى، لحداتها وغربتها عن المجتمع، لم تجد ملامح آخر غير الزوايا التي تحمل جذورا اجتماعية وروحية عريقة، رغم ارتباطها بسلطة الرئيس السابق، ورغم ما يشوبها من نهم الإرتواء في أحضان النظام.

ولم يتوان مستشار رئيس الجمهورية المكلف بالجمعيات الدينية، عيسى بلخضر، في التعبير أكثر من مرة عن "حرص الرئيس تبون على تعزيز دور الزوايا في الإشعاع الثقافي والمعرفة".

واعتبر بلخضر أن "الزوايا والمدارس القرآنية فاعل حقيقي مع سيروية المجتمع ومشارك له في



الجزائر - أوحى تصويب الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون لمستشار مكلف بالجمعيات الدينية، برسالة واضحة عن احتفاظ السلطة بنفس توجهات السلطة السابقة في التعاطي مع المشهد الديني، والإبقاء على الزوايا كشريك أساسي في تحقيق التوازن مع التيارات الدينية المتنامية في البلاد، وتوظيفها في إضفاء التزيك الشرعية على الخيارات السياسية.

واعتبر بلخضر أن "الزوايا والمدارس القرآنية فاعل حقيقي مع سيروية المجتمع ومشارك له في

واعتبر بلخضر أن "الزوايا والمدارس القرآنية فاعل حقيقي مع سيروية المجتمع ومشارك له في

## تحالف مفترض للجماعات الدينية العربية للظفر بغنيمة السلطة

يُنظَر من الخطاب الديني عمق تحليلي، ولا موضوعية حيادية في التعامل مع موضوعات القضية العربية والإسلامية، بل يُنظَر منه المناخعة على المرجعيات الإسلامية أساسا".



إبراهيم نزار  
من القريب أن يناط بالفتنة لتحويل الجيو. سياسية

واعتبر ذلك مكن القوة عند الإعلام الديني؛ إذ يُشعر المتتبع المسلم، وهو في خضم "الثورة"، بخاطر مؤامرات أعداء الإسلام، مع تقديم بديل سياسي يتمثل في العصر النموذجي الذي ينبغي له أن يُبعث الآن، ليخلص العرب من الظلم والهوان، في وقت تُرَد فيه شعارات المطالبة بالديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والمساواة، وحقوق الأقليات، وكلها مفاهيم ليست نتاج سياقات عربية، ولا إسلامية، بل هي دليل على استهلام النموذج الإصلاحي والشوري الغربي، الذي بذت نغم غائمه على أحفاده.

واستنتج الباحث المغربي في خلاصة دراسته أن الخطاب الإعلامي الديني لا يعي ثقافته، وهو يُصر على إقحام أسس الثورة السياسية والاجتماعية الغربية في المرجعيات الدينية والتاريخية للإسلام، مشددا على أنه لا يمكن أن ينعم الإنسان المسلم بحرية، في صياغة موقف تجاه أوضاع الحراك العربي، إلا بعيدا عن صراخ الخطيب الإعلامي الديني، وبمنا عن خطاب الترويج والترويب.

العربية لا يُشعر بخير، ما دامت الحقيقة تظهر على التلفاز، وتُقتل في الكتب، معتبرا أن الأنظمة العربية (المستبدة) ليست لديها أي مشكلة مع هذا النوع من الإعلام، فرغم ما يدعيه (الإعلام) من كشف وفضح للحقائق؛ فإن هذه الأنظمة تستثمر "الراس المال الإعلامي" لصناعة عدو مفترض، إما داخل ما يسمى بـ"التراب الوطني"، وإما خارجه.

وقال ونزار إن للإعلام الديني دورا كبيرا في عملية توجيه التفكير عند شريحة كبيرة من المجتمعات العربية، ذات الأغلبية المسلمة. فإن كان للإعلام السياسي دور في توحيد الحقيقة، وإعادة بنائها وفق خط تحريري معين، فإن الخطاب الإعلامي الديني، وبمناسبة كل حدث مُستجِد، يحاول تأسيس مضامين جديدة.

ورأى الباحث المغربي أن منعرج الحراك العربي قد أخرج خطابا إعلاميا دينيا جديدا إلى الوجود، اخترق سياقات ما يسمى بـ"الربيع العربي"، واستدمج عناصره ضمن مضامينه الخطابية، وحاول تاصيل مفاهيمه في تربة مرجعيته النصية والتاريخية، فصار لثورة العرب 2011، نفحة كلاسيكية، تستحضر، في كل مرة، عصر النبي والصحاب، في ظرفية لا صلة لها بتاتا بالماضي، ولا يوجد مفهوم واحد في كل "الثورات العربية" له علاقة بهذا الحقل الدلالي الديني (الإسلام بالتحديد).

وعبر ونزار عن استغرابه بالقول "لقد تأثر المتتبع العربي بالإعلام الديني، حتى صار فهم التحولات الجيو. سياسية منوطا بالفقيه، أو كما أسماه بعض الباحثين المعاصرين (المنشط الديني)، ولا

ونوه ونزار إلى أن بعض الفضائيات المشهورة في عرض المستجدات السياسية تزعمت حركة إعلامية، وصفها بالخطيرة جدا، إذ تهدف، لا إلى إيصال الخبر، ولكن إلى تأويله والتعليق عليه، وصار التحكم في وجهة الغضب الشعبي ممكنا، سواء من جهة الإعلام السياسي أو من جهة الإعلام الديني.

وشدد أستاذ الفلسفة في جامعة الحسن الثاني أن مستقبل البنيات الاجتماعية، والثقافية للمجتمعات



عواقب الغضب أخطر بكثير من أسبابه

تجدد الإعلام السياسي بخطاب الصورة والصوت، وتجدد الإعلام الديني بالنقد الموازي للأوضاع، مع استبشار مصاحب "للمؤمنين" بمستقبل البلد إذا تحققت بشرى "الله". وقد استعان هذا الأخير في عمله بمرجعية التاريخ الذي يعتبره نموذجا، ومرجعية النص الذي يعتبره قاعدة إبستمولوجية. وانطلاقا من هذه المعطيات، صار التحكم في وجهة الغضب الشعبي ممكنا، سواء من جهة الإعلام السياسي أو من جهة الإعلام الديني.

وأجاب الباحث المغربي في دراسة بعنوان "الإعلام الديني والسياسي وصناعة الرأي في ظل الحراك العربي" تسربت خطابات الإعلام الديني والسياسي عبر قنوات مبرمجة لهذا الغرض، غايتها استهداف شريحة واسعة من المجتمعات العربية ذات الثقافة البسيطة جدا، ولبيل ذلك ما تنتهجه من أشكال الإقناع والتأثير في وجدان المتلقي، مهما اختلفت توجهاته الدينية. والأمر نفسه يتناسق في ظل الحراك العربي، إذ

الرباط - اعتبر باحث مغربي متخصص بالفلسفة الإسلامية أن قوى الإسلام السياسي في العالم العربي والإسلامي، تبرر تحالفها المفترض في وسائل الإعلام بكثافة، لتحسين صورتها في عين مريدي الجماعة الدينية، وتسهيل الظفر بحصة في غنيمة السلطة.

وقال إبراهيم نزار أستاذ الفلسفة بجامعة الحسن الثاني، إن جماعات الإسلام السياسي تعمل على تنزيل المشاريع الموصى بها من طرف المرجعيات التاريخية والروحية للتيار السياسي الديني، لإقناع العامة من المسلمين، ذوي الثقافة الدينية البسيطة، بمستقبل البلد في ظل حكم "الإسلام المشهوه".

وتساءل ونزار الذي أصدر من قبل كتاب "مفهوم الإنسان في الفلسفة الأخلاقية العربية: مسكويه أمونجا"، و"العنف خاصة الإنسانية"، و"الحقيقة النفسية للدين عند فرويد". في لحظة استبصار تدفعنا إلى التساؤل: كيف استطاع الإعلام الديني والسياسي، في ظل الحراك العربي، أن يؤثت لمشروع تصنيغ الآراء وتصديرها إلى كل الأقطاب العربية؛ وما العوامل المساهمة في ذلك؟ وهل نحن إزاء إعلام يتوسط عملية معرفة الخبر بشكل سلبي أم إيجابي؟ ألا يمكن القول إن الإعلام السياسي والديني قد أسهما أكثر في توجيه مسارات الرؤية عند الشعوب الثائرة في وجه أنظمتها، وكذا الشعوب المجاورة والمتتعبة لها؛ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن الحديث عن "ثورة" يتحكم في شدتها، ومدتها الإعلام، وفي وقت يُخيل فيه إلى المجتمع العربي أنه صانها؟